

مجالس في تدبر القرآن | (220) قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء ..

خالد السبت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته نواصل الحديث ايها الاحبة فيما يستخرج من الهدايات من هذه الايات التي ذكرها الله تبارك وتعالى - [00:00:01](#) ليدلل على احقيته بالعبادة هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات انكر عليهم كفرهم وعبادة غير الله جل جلاله وتقدست اسماؤه كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم - [00:00:24](#) ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ثم قال في هذه الاية هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء - [00:00:48](#) عليم الله تبارك وتعالى هو الذي خلق لاجلكم كل ما في الارض من النعم والمنافع التي تنتفعون بها ثم استوى الى السماء ارتفع وعلى فخلقهن هذا الخلق الذي هو في غاية الاحكام والاستواء - [00:01:07](#) فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم فعلمه محيط بكل شيء هذا توجيه للعباد من اجل ان يعتبروا ويتفكروا وينظروا بدلائل قدرته تبارك وتعالى ووحدانيته هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا - [00:01:32](#) ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم ان الذين لا يعرفون الله تبارك وتعالى ويعبدون غيره من الاصنام ومن المعبودات الباطلة كالبقر والشجر ونحو ذلك هؤلاء لا غرابة ايها الاحبة حينما - [00:01:59](#) تتعطل اذهانهم وافهامهم عن ادراك مثل هذه الحقائق والاتفات الى مثل هذه المواطن التي يحصل بها الاعتبار ويستدل بها على هذا الخالق وانه هو الواحد الذي لا يصح ان يتوجه الى غيره ولا ان يعبد غيره - [00:02:25](#) فالولئك لا غرابة حينما تتعطل اذهانهم وافهامهم فلا تجول في هذا الخلق لتستدل به على هذه المعاني الكبار ولكن الغريب ايها الاحبة ان تتعطل اذهان وافهام اهل الايمان ومن يقرأون مثل هذه الايات - [00:02:56](#) ويبقون في حال من العجز والحجب فلا يستدلون على هذه الموجودات وما صرفت فيه على هذه المعاني العظيمة وفي هذا الكتاب وفي اوائله مثل هذه الاية هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا - [00:03:17](#) ثم استوى الى السماء فكل ما في هذه الارض من المعادن والاشجار والنباتات والثمار والمياه وما الى ذلك الله خلقه للعباد. خلق لكم مثل هذا التعبير يدل على ان ذلك - [00:03:45](#) من اجل مصالحكم ومنافعكم ولتقوم حياتكم وتستقيم وتستقر معاشكم ثم يؤخذ من هذه الاية هو الذي خلق لكم ان الاصل كما يقرره الاصوليون والفقهاء الاصل بان كل ما في الارض - [00:04:11](#) من اشجار ومياه وثمار وحيوان وغير ذلك الاصل في ذلك جميعا الحلم والذي يحرم شيئا من ذلك فانه يطالب بالدليل على التحريم فاذا وجد الدليل على تحريم شيء من ذلك وقف عنده فان لم يوجد نظر في الضرر - [00:04:32](#) وما كان من الاشياء الضارة التي يغلب ضررها على نفعها فانها تحرم لان هذه الشريعة كما هو معلوم يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث والا فالاصل بالاشياء الحلم من المطعومات - [00:04:55](#) وكذلك ايضا سائر انواع المنافع والمعاملات الاصل في المعاملات الحل الاصل في المطعومات الحل وكذلك الاصل في بالمنافع الحلم

فهذا اصل مقرر معلوم لدى اهل العلم بخلاف الذبائح فان اهل العلم يقولون - [00:05:17](#)

الاصل في الذبائح المنع يعني الا ما تقرر زكاته وانه ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وهكذا لما ذكر الله

الموقودة والمتردة والنطيحة وما اكل السبع الى اخره قال الا ما ذكيت - [00:05:41](#)

ثم ايضا تأمل قوله تبارك وتعالى ثم استوى الى السماء فسواهن سبعة السماوات استوى الى السماء هذا فيه اثبات الافعال الاختيارية

والصفات الاختيارية لله تبارك وتعالى فهذا الاستواء هو فعل من افعاله. كذلك ايضا التسوية فسواهن - [00:06:02](#)

سبعة سماوات فالله يفعل ما شاء متى شاء كيف شاء فله الكمال المطلق من كل وجه وهذا الخلق وهذه التسوية كل ذلك يدل على

علم محيط دقيق وعلى قدرة كاملة - [00:06:31](#)

فانه لا يمكن خلق مثل هذه السماوات بهذا الاحكام يمر عليها هذه الازمان الطويلة من غير فطور ولا خلل ولا تحتاج الى صيانة ترجع

البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا - [00:06:51](#)

وهو حسير ينقلب يرجع اليك البصر خاسئا لا يجد خللا ولا فطورا. الانسان لو جاء باكبر الخبراء من المهندسين وبافضل المواد التي

تستعمل في البناء وجاء باكبر الشركات ذات الخبرة الطويلة - [00:07:11](#)

في البناء والعمارة فان هذا البناء بعد مدة ولربما يسيرة تظهر فيه العيوب والشقوق ثم بعد ذلك يبدو عليه الضعف وتتقادم عليه

السنون حتى بعد ذلك يبدو واهنا ايلة للسقوط - [00:07:35](#)

هذه الابنية التي يبنها الناس لو سألنا اهل الخبرة بالعمر الافتراضي لهذه الابنية التي نشاهدها فعندهم ان متوسط اعمار هذه البنايات

بما يقرب من ثلاثين سنة فقط. هذا العمر الافتراضي - [00:08:01](#)

وتجد الانسان يبذل فيها ويعقد عليها الامال ويبني لربما المدة الطويلة وينفق الاموال الطائلة ومداها هو هذا بينما انظر الى خلق الله

تبارك وتعالى وما فيه من الاحكام لا يحتاج الى - [00:08:23](#)

تجديد ولا ترميم ولا يحتاج الى استدراك لجوانب من النقص وانما هكذا منذ خلقه الله عز وجل وهو يجري بنظام دقيق وفي غاية

الاحكام فهذا خلقه جل جلاله ثم قال الله تبارك وتعالى - [00:08:43](#)

واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك

قال اني اعلم ما لا تعلمون واذا قال ربك واذكر - [00:09:07](#)

ايها الرسول يمكن ان يكون هذا الخطاب موجها للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لكل امته لان الامة تخاطب كما هو معلوم

بشخص قدوتها ومقدمها صلى الله عليه وسلم - [00:09:27](#)

واذكر اذ قال ربك للملائكة ويصلح ان يكون ذلك خطابا لكل احد اني جاعل في الارض قوما يخلف بعضهم بعضا لعمارتها خليفة وليس

المقصود بذلك انه يكون خليفة عن الله - [00:09:44](#)

فان الله اعظم واجل من ذلك ومن هنا فان العبارة التي قد يعبر بها بعضهم يقول الانسان هو خليفة الله في ارضه هذه عبارة غير

صحيحة وانما خليفة ان يخلفوا - [00:10:05](#)

بعضهم بعضا وقيل غير ذلك لكن هذا هو الاقرب من هذه المعاني وهذه المعازف لا تجوز لا في المساجد ولا في غير المساجد وهي في

المساجد اشد واعظم حرمة فان هذه بيوت الله تنزه عن مثل هذا الذي وتنزه عن مثل هذه الاثام - [00:10:21](#)

ومثل هذه الافات فان من يقع منه ذلك فانه يؤذي اهل المساجد من المصلين والقارئین والذاكرين ويؤذي ايضا ملائكة الله عز وجل

فهذا لا يجوز بحال من الاحوال وما على الانسان يغير مثل هذه النغمة - [00:10:41](#)

القبيحة التي تنفر منها الاسماع والفطر السوية اصبحت هذه المعازف تلاحقنا في المساجد وعند الاشارة وفي كل مكان نذهب اليه فلا

فكاك ولا سلامة فليتق الله الانسان ببخاف ويراقب ربه ان يرجع من المسجد برضا ورحمة - [00:11:01](#)

الا يرجع بسخط وغضب يقول الله تبارك وتعالى واذكر ايها الرسول اذكر يا محمد عليه الصلاة والسلام اذ قال ربك للملائكة اني جاعل

في الارض خليفة اي قوما يخلف بعضهم - [00:11:22](#)

بعضا لعمارتها فقال الملائكة يسألون ربهم تبارك وتعالى سؤال استرشاد وليس بسؤال اعتراض فان الملائكة اعلم بالله تبارك وتعالى واخوف واتقى من ان يسألوه سؤال اعتراض اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ هذا سؤال - [00:11:41](#)

واستفهام فهم يسترشدون عن الحكمة يسألون عن الحكمة في خلق هؤلاء البشر الذين من شأنهم الافساد في الارض واراقة الدماء ظلما وعدوانا ونحن طوع امرك ننزهك التنزيه اللائق بك ونمجذك ونقدسك - [00:12:11](#)

فقال الله تبارك وتعالى لهم اني اعلم ما لا تعلمون يؤخذ من هذه الاية ايها الاحبة اخذ منها بعض اهل العلم كالقرطبي ان هذا الموضع من كتاب الله تبارك وتعالى - [00:12:32](#)

اصل في نصب امام وخليفة يسمع له ويطاع وتجتمع عليه الكلمة وتنفذ به الاحكام وهذا لا شك انه من الفروض الواجبة على الامة. ولا تستقيم حياتهم ومعايشهم. بل لا يقوم دينهم الا - [00:12:49](#)

الا بهذا والا بقوا فوضى فتضيع الضرورات الخمس كما هو معلوم نحن نشاهد في البلاد التي تتحول الى فوضى فان اديان الناس تتضرر والناس لا يأمنون في عبادتهم ولا يخرجون الى مساجدهم ولا يحكم فيهم بشرع الله عز وجل - [00:13:13](#)

وتضييع الحقوق وكذلك ايضا لا يأمنون على دمائهم ولا على عقولهم ولا على اعراضهم ولا على اموالهم الضرورات الخمس جميعا تضيع وتذهب كذلك ايضا دل قوله تبارك وتعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة - [00:13:35](#)

هذا قبل خلق ادم فالله اخبر الملائكة قبل خلقه اني جاعل في الارض خليفة فهذا دل على ان الله قد قدر وعلم ان ادم صلى الله عليه وسلم سيخرج من الجنة ويهبط الى - [00:13:57](#)

الارض اني جاعل في الارض ما قال في الجنة والله حينما خلق ادم اسكنه الجنة ونهاه عن الاكل من الشجرة كما هو معلوم فاكل منها واطاع عدوه ابليس وحصل ما حصل ثم نزل بعد ذلك اهبطه الله - [00:14:19](#)

الى هذه الارض كما قال الحافظ ابن القيم رحمه الله وانما نحن سبي العدو فيا ترى نرد الى اوطاننا ونسلم يقول فحي على جنات عدن فانها منازل الاولى وفيها المخيم - [00:14:41](#)

وانما نحن سبي العدو سبانا ابليس من الجنة الى هنا فيا ترى نرد الى اوطاننا ونسلم فهنا هذه الاية تدل على ان الله قد قدر على ادم خروجه وانه سيكون خليفة - [00:14:57](#)

في الارض فهذا يدل على علمه المحيط الشامل وانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ثم تأمل قوله تبارك وتعالى واذ قال ربك فيه اثبات القول لله جل جلاله وتقديسه - [00:15:14](#)

اسماؤه والله تبارك وتعالى يقول ويتكلم كلاما يليق بجلاله وعظمته وهذا الكلام يكون ب حرف وصوت كما هي عقيدة اهل السنة والجماعة يتكلم بكلام حقيقي لا يشبه كلام المخلوقين واذ قال ربك - [00:15:37](#)

ثم تأمل قوله تبارك وتعالى واذ قال ربك اسناد القول هنا الى الرب تبارك وتعالى في غاية المناسبة لان هذا الذي ذكره الله تبارك وتعالى هو من معاني ربوبيته. وتصريفه لامر الخليفة. خلق ادم - [00:16:04](#)

واوجده والملائكة يتساءلون عن سبب خلق ادم وان الله اراد ان يكون خليفة في الارض كل هذا من معاني ربوبيته وتدبيره وتربيته لخلقه كيف شاء ثم ايضا فيه التفات وعرفنا الالتفات بتنويع الخطاب - [00:16:25](#)

فان الله تبارك وتعالى قال قبلها هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات فهنا خطاب للجميع ثم بعد ذلك صار الخطاب الى الواحد وهذا نوع من انواع - [00:16:48](#)

من انواع الالتفات خرج من الخطاب العام كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم. ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون. هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم قال واذ قال ربك ما قال واذ قال - [00:17:08](#)

ربكم كذلك ايضا تأمل قول الملائكة عليهم السلام اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يفسد فيها ما الذي اعلمهم - [00:17:27](#)

بهذا الله اعلم من اهل العلم من يقول يحتمل ان يكون الله عز وجل اعلمهم حينما اخبرهم انه سيجعل في الارض خليفة ان من

طبيعته كذا وكذا ويحتمل انهم لما عرفوا صفة هذا المخلوق - [00:17:48](#)

وانه مجوف عرفوا انه يكون موضعاً للشهوات ونحو ذلك وتقع منه نوازع الشر والمخالفة ويحتمل ان يكون ذلك بناء على ما شاهدوا من الجن باعتبار ما يذكر من ان الجن كانوا قبل الانس في الارض وانهم افسدوا - [00:18:05](#)

الى اخر ما ذكر فقاوسوا الانس على الجن الله اعلم يحتمل هذا ويحتمل غيره لكن انظروا هنا قالوا اتجعل فيها من ذكروا قضيتين يفسد فيها ويسفك الدماء ذكروا قضيتين الافساد - [00:18:26](#)

وسفك الدماء مع ان سفك الدماء هو من جملة الافساد ولكنه ذكر مستقلاً لشدته وخطورته وعظمه فهذا كما قال الله عز وجل في الاية الاخرى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل - [00:18:45](#)

اية المائدة انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض. لما ذكر قصة ابني ادم انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس - [00:19:04](#)

جميع ومن احيائها فكأنما احيا الناس جميعاً. اقوال المفسرين في اية المائدة معروفة مشهورة متنوعة. لكن منها ان العدوان على نفس واحدة كالعدوان على جميع النفوس لان النفوس في ذلك متحدة. وان احياء - [00:19:20](#)

النفس الواحدة كاحياء جميع النفوس لانها متصفة بالصفة الواحدة صفة الانسانية فهؤلاء سواء من هذه الحيثية والمحافظة على رح انسان كالمحافظة على جميع الارواح وقطع ذرائع الاتلاف والافساد والعدوان على النفوس - [00:19:40](#)

يكون تحقيقاً لسلامة جميع النفوس التي لا يحل قتلها الا ما جاء استثناءه عن الشارع وليس ذلك ايضاً لكل واحد لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله الا باحدى - [00:20:02](#)

ثلاث ولا يكون هذا ايضاً لاحاد الناس. فتأمل هنا الملائكة ماذا ذكروا؟ ذكروا هاتين القضيتين من يفسد فيها ويسفك الدماء ايضاً الله تبارك وتعالى حكم على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض - [00:20:22](#)

فقدم هناك قتل النفس لماذا؟ لان قصة ادم ابني ادم بسورة المائدة فيها قتل للنفس فقدم ما يتعلق بالمناسبة قتل اخاه انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض. وهنا - [00:20:45](#)

اتجعل فيها من يفسد فيها ذكر العام لان بني ادم يصدر عنهم القتل وغير القتل ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فدل هذا وهذا كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية - [00:21:06](#)

رحمه الله على ان هذين الامرين هما اللذان ذكرهما الله عز وجل في قصة ابني ادم وما قضى به على بني اسرائيل فهذا يدل على ماذا يدل على ان الافساد في الارض ومن اعظمه واشده قتل النفوس - [00:21:23](#)

ان ذلك من اعظم الجرائم والمنكرات والعظائم بصرف النظر عن مراد صاحبه سواء فعل ذلك ديانة من عند نفسه حيث فهم الدين بفهم فاسد سواء كان ذلك بسبب نوازع الشر في نفسه - [00:21:44](#)

او غير ذلك من الاسباب. يبقى ان هذا من اعظم المنكرات والجرائم. ولا يمكن لاحد ان يدعي الاصلاح والصالح ثم بعد ذلك يصدر عنه مثل هذه الافعال الشنيعة القبيحة بل - [00:22:10](#)

ويكثر منه ذلك حتى يعرف به من بين سائر الناس سواء كان فرداً ام جماعة فلا فرق في ذلك وما نشاهده ما يقع في مثل هذه الايام لا شك انه - [00:22:29](#)

انه من اعظم الفساد في الارض والاجرام والسوء ولن يبقى المرء يعاقر انواع الشهوات من شرب الخمر وفعل الفواحش والزنا وما الى ذلك فانه اسهل بكثير من هذا الذي نشاهده - [00:22:46](#)

انظروا بمثل هذه الايام كيف شغل الناس بمثل هذه الشنايع والاعمال القبيحة شغلوا الناس البلد في حال في حال حرب ثم تأتي هذه الطعنة في الظهر فتصرف الناس من ميدان المعركة - [00:23:04](#)

الى غدر ومن معه نسأل الله العافية الى هؤلاء الغادرين الاشرار اشغلوا الناس اشغلوهم ولو ان اكبر الاعداء اراد ان يصرف ميدان المعركة فانه لن يفعل اكثر من هذا ولن يجد من يتبرع له باكثر من هذا. هذا لدما - [00:23:25](#)

يعقل ويبصر ولكن فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اتجعل فيها من يفسد فيها بانواع المعاصي ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قالوا هذا كما سبق - [00:23:49](#)

استفهما استرشادا ليس من قبيل الاعتراض ولا الحسد ايضا لبني ادم انما هو سؤال استعلام ولا يحسن ان يعبر بمثل هذا كما يذكر بعضهم بان الله ايضا ذكر ذلك على سبيل الاستشارة للملائكة. فالله اعظم من هذا لكن الذين - [00:24:09](#)

يذكرون ذلك هم يقصدون به ان ذلك من قبيل التعليم تعليم الله لخلقه انما الذي يستشير هو من كان ناقص العلم لا يعلم العواقب والله اجل واعظم من ان يستشير احدا من خلقه مهما علت مرتبته فالله هو الذي خلقهم وهو الذي علمهم - [00:24:29](#)

لكن من ذكر هذا من المفسرين قصد به قصد به ان ذلك لتعليم بني ادم. لكن هذا المعنى لا يصح. وانما ذكرته لانه قد يقف عليه بعض من يقرأ في بعض كتب التفسير ولكنه معنى مردود - [00:24:50](#)

وعبارة مردودة ونحن نسبح بحمدك ونسبح بحمدك. لاحظ الجملة جملة اسمية نحن نسبح بحمدك والجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام فهم دائمون على ذلك لا يفترون لا يضعفون لا يكسلون لا يتعبون - [00:25:09](#)

فهذا كما وصفهم الله تبارك وتعالى وتقدير المسند اليه نحن على الخبر الفعلي نسبح دون حرف النفي يحتمل ان يكون للتخصيص حاصل ما دلت عليه الجملة الاسمية من الدوام اي نحن الدائمون على التسبيح والتقديس - [00:25:34](#)

دون هذا المخلوق ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فنحن دائمون على هذا بخلاف هؤلاء البشر الذين يقع منهم ما يقع من الغفلة والتفريط والفساد والافساد لكن الله عليم حكيم هذه الذرية وجد منهم - [00:25:56](#)

الانبياء والرسل والصديقون والشهداء والصالحون وجد منهم خلق يدخلون الجنة ووجد منهم من هم اولياء لله تبارك وتعالى ويتميز بذلك اولياؤه من حزه وتظهر معاني الاسماء والصفات للرب تبارك وتعالى - [00:26:18](#)

وتظهر جوانب عظيمة من حكمته الى غير ذلك مما اراده الله تبارك وتعالى فنسأل الله عز وجل ان يردنا الى الجنة وان يعيذنا من الشيطان وجنده واطلاله واغوائه اللهم ارحم موتانا - [00:26:44](#)

واشف مرضانا وعافي مبتلانا واجعل اخرتنا خيرا من ديانا. والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه - [00:27:05](#)